خطبة أوموعظة(1)

((عن الخسوف والكسوف))

الخطبة الأولى(2)

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد ه ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

---

(1) هذه الخطبة أو الموعظة تصلح أن تكون خطبة جمعة أو موعظة في أي وقت حصل الكسوف أو الخسوف من ليل أو نهار.

(2) قسمتها خطبتين لمن أراد أن يجعلها خطبة جمعة,ومن جعلها موعظة في غير الجمعة فله أن يلقي الخطبتين معًا بدون فاصل فيدمجهمامع بعض فيجعلها موعظة واحدة أو يكتفي بالخطبة الأولى موعظة.

عباد الله..

إن الناظر إلى أحوال الناس في هذه الأيام يرى العجب العجاب من كثرة الفتن والبلايا وكثرة القتل والقتال والبعد عن دين الله ومخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من رحم الله ولذلك كثرت الخسوفات والكسوفات والزلازل والفيضانات في هذه الأيام وما ذاك إلا إشارة لكثرة الذنوب والمعاصي والبغي والظلم وإنذار من رب العالمين سبحانه وتعالى للناس من بطشه وعقوبته ليرجعوا إلى ربهم.

قال تعالى: { وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ المصِير}[آل عمران:28]

وقال تعالى: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا}[الإسراء:59]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ الله يخَوِّفَ النَّاسَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ آيَاتِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ وَيَذَّكَّرُونَ وَيَرْجِعُونَ، ذُكر لَنَا أَنَّ الْكُوفَةَ رُجِفَتْ عَلَى عَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوهُ. وَهَكَذَا رُوي أَنَّ المدِينَةَ زُلزلت عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ: أَحْدَثْتُمْ، وَالله لَئِنْ عَادَتْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ. اهـ

وقال المفسر السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى :{ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا}: أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها، بل المقصود منها التخويف والترهيب ليرتدعوا عن ما هم عليه. اهـ

ألا وإن من أهم الآيات التي يخوف الله بهما عباده وينذرهم بها من معاودة عصيانه ,لهي خسوف الشمس والقمر فهما آيتان عظيمتان ولكن قَلَّ من يعتبر ,وغفل كثير من الناس عن هاتين الآيتين وجعلوهما حوادث طبيعية ـ عياذا بالله ـ وأخذوا ذلك عن الكفار وبعض أذنابهم من المسلمين المنحرفين وهوقولهم:"إنها حوادث طبيعية" ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله، لاَ ينكسفان لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ ولكن الله عز وجل يرسلهما يخوف بهما عباده، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره» ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَالله مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ الله أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَالله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

وفي رواية لمسلم عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: "خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي، فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ جِدًّا، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ جِدًّا، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ، فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا،» الحديث.

وفي رواية لمسلم :قَالَ عليه الصلاة والسلام :« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَإِنَّهُمَا لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِىَ مَا مِنْ شَىْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِى صَلاَتِى هَذِهِ لَقَدْ جِىءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِى تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِى مِنْ لَفْحِهَا وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِى. وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِى رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ

الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ثُمَّ جِىءَ بِالْجَنَّةِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِى تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِى مَقَامِى وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِى وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَا لِى أَنْ لاَ أَفْعَلَ فَمَا مِنْ شَىْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاَّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِى صَلاَتِى هَذِهِ ».

وفي رواية في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما :"قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِى مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَفَفْتَ. فَقَالَ « إِنِّى رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ». قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « بِكُفْرِهِنَّ ». قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ « بِكُفْرِ الْعَشِيرِ وَبِكُفْرِ الإِحْسَانِ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ».

أيها الناس ..

إن في هذه الأحاديث وفي أيات الخسوف والكسوف فوائد وحكم ومواعظ نذكر بعضها لعل ذلك يكون لناعظة وعبرة

ففيها:بيان أن الحكمة من الخسوف والكسوف وهي التخويف والإنذار.

وفيها الرجوع إلى الله بالدعاء والتضرع والصلاة والصدقة وسائر العبادات حال نزول الآيات والمصائب ,فعلى العباد أن يرغبوا إلى الله بالعبادات وقت الشدائد والملمات إذ لا ملجأ من الله إلا إليه.

وفيها من المواعظ والزواجر:التهديد لأصحاب المعاصي والتذكير لهم لينتهوا عما هم عليه وليتوبوا إلى ربهم ويقلعوا عن المعاصي وذلك برؤية النبي صلى الله عليه وسلم للنار وهو في صلاة الخسوف وإخباره ببعض العصاة الذين يعذبون ببعض المعاصي التي كانوا يقترفونها لتكون عظة وعبرة لغيرهم.

وفيها الترغيب للمؤمنين بالطاعات والإقبال عليها والتشويق لهم بما أعد الله لهم في دار كرامته,وذلك برؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجنة وهو في صلاة الخسوف ورؤيته لبعض نعيمها وأخبر أنه تناول عنقودا منها لو أخذه لأكلوا منه ما بقيت الدنيا ,ليبين لهم أن نعيم الجنة باقٍ لن يفنى وأن نعيم الدنيا فاني لا محالة.

ووأما ما يعتقده بعض الناس أن الشمس أو القمر ينخسفان لموت رجل عظيم فهذا غير صحيح فقد أبطله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده".

وذلك أن بعض الناس كان يعتقد أن سبب خسوف الشمس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هو موت إبراهيم عليه السلام ابن نبينا صلى الله عليه وسلم فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

قال ابن بطال رحمه الله: قال المهلب: مصداق هذا الحديث في قول الله تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} يدل ذلك أن الآيات تحذير للعباد، فينبغي عند نزولها مبادرة الصلاة والخشوع والإخلاص له، واستشعار التوبة والإقلاع عن المعاصي، ألا ترى أنه - عليه السلام - عرض في مقامه الجنة والنار؛ ليشوق بالجنة أهل الطاعة، وليتوعد بالنار أهل المعاصي، وأخبرهم الشارع أن الكسوف ليس كما زعم بعض الناس أنه من أجل موت ابنه إبراهيم ، وأنماهو تخويف وتحذير. اهـ

وفيها: إشارة إلى الانتقام من الظالمين والمجرمين لقوله صلى الله عليه وسلم: "والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا".

وفيها: أن الله يغار إذا أتى عبده أو أمته الفاحشة ولذلك ينذرهم بالآيات قبل العقوبات.

وفيها: أنه يشرع للإمام إطالة الصلاة بالقراءة وإطالة الركوع والسجود حتى تنجلي الشمس أو القمر ويشرع له أن يعظ الحاضرين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيها: فضل زمن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وقلة المخالفات فيه لأن الشمس لم تخسف إلا مرة واحدة في عهدهم وأما في هذه الأزمان فقد كثرت الكسوفات وهذا يوحي بكثرة الذنوب في هذه الأزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفيها: معرفة كيفية صلاة الكسوف والخسوف وهي :ركعتان ,في كل ركعة ركوعان وتكون الصلاة طويلة كما تقدم .

وغيرذلك من الحكم البليغة والمواعظ الجليلة والفوائد العظيمة التي اشتملت عليها هذه الأحاديث الشريفة والتي تؤخذ من هذه الآيات الكونية.

وبالجملة فإن الخسوف والكسوف من آيات الله الكونية التي يخوف بهما عباده.

وفيها: لطف الله بعباده إذ لم يعاجلهم بالعقوبة وإنما ينذرهم بالآيات ليرجعوا,ولكن كثيراً من الناس لا يتعظون بالآيات والنذارات حتى تنزل عليهم العقوبات قال تعالى: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُون}[يونس:101]

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُون * وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيم }[يونس:96-97] .

وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الملآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الموْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُون} [الأنعام:111]

فهذا حال كثير من الناس أنهم لا يؤمنون ولا يتعظون حتى يروا العذاب الأليم.

فلا يأمن العباد إذا أمدهم الله بالنعم وهم مقيمون على معصيته أن يكون ذلك استدرجا منه لهم.

قال تعالى: { سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين }[القلم:44-45] وقال تعالى مخبرا عن الأمم السابقة أنه ابتلاهم بالخير والشر والسراء والضراء لعلهم يرجعون فلم ينفع معهم ذلك.

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُون * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُون * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُون * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون}[الأعراف:94-99]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: ابْتَلَاهُمْ بِهَذَا وَهَذَا لِيَتَضَرَّعُوا ويُنيبوا إِلَى الله، فَمَا نَجَع فِيهِمْ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، وَلَا انْتَهَوْا بِهَذَا وَلَا بِهَذَا بَلْ قَالُوا: قَدْ مَسَّنَا آباءنا مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، ثُمَّ بَعْدَهُ مِنَ الرَّخَاءِ مِثْلُ مَا أَصَابَ آبَاءَنَا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، وَإِنَّمَا هُوَ الدَّهْرُ تَارَاتٌ وَتَارَاتٌ، وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا لِأَمْرِ الله فِيهِم. اهـ

وقال رحمه الله:"ابتلاهم الله بالمرض والأسقام والشدة لعلهم يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله فما فعلوا شيئا فقلب الله الحال إلى رخاء ليبتليهم ويختبرهم فيه "حتى عفوا"أي كثرت أموالهم وأولادهم فقالوا قد حصل لآبائنا من السراء والضراء كما حصل لنا وإنما هو الدهرتارات وتارات .."اهـ بتصرف

وقال تعالى: {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُون * حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُون } [المؤمنون:75-76].

قال المفسر السعدي رحمه الله: هذا بيان لشدة تمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف عنهم ليؤمنوا، أو ابتلاهم بذلك ليرجعوا إليه. إن الله إذا كشف الضر عنهم لجوا، أي: استمروا في طغيانهم يعمهون. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رحمه الله: يَقُولُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ} أَيِ: ابْتَلَيْنَاهُمْ بِالمصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ، {فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} أَيْ: فَمَا رَدَّهُمْ ذَلِكَ عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُخَالَفَةِ، بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلَالِهِمْ وَغَيِّهِمْ. اهـ

وقد ابتلى الله فرعون وقومه بالقحط والجوع ونقص في الزروع والثمار لعلهم يرجعون فلم يتذكروا.

قال تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون} [الأعراف:130] ثم أرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ثم وقع عليهم الرجز فطلبوا من موسى عليه السلام أن يدعوا الله لئن كشفه عنهم ليؤمننَّ فلما رفعه الله عنهم تمادوا في كفرهم واستمروا في بغيهم فأغرقهم الله في البحر.

وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُون * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}[الأنعام:42].

قال المفسر ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا...} أَيْ: فَهَلَّا إِذِ ابْتَلَيْنَاهُمْ بِذَلِكَ تَضَرَّعُوا إِلَيْنَا وَتَمَسْكَنُوا إِلَيْنَا {وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} أَيْ: مَا رَقَّتْ وَلَا خَشَعَتْ {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أَيْ: مِنَ الشِّرْكِ وَالمعَاصِي. {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ} أَيْ: أَعْرَضُوا عَنْهُ وَتَنَاسَوْهُ وَجَعَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} أَيْ: فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَارُونَ، وَهَذَا اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ تَعَالَى وَإِمْلَاءٌ لَهُمْ، عِيَاذًا بِالله مِنْ مَكْرِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا} أَيْ: مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَرْزَاقِ {أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} أَيْ: عَلَى غَفْلَةٍ {فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} أَيْ: آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. اهـ .

هذا بعض ماحصل للأمم السابقة من قبلنا لنأخذ العظة والعبرة , ولا يظن أحد أن هذا الوعيد والإنذار خاص بهم فإنه عام حتى لهذه الأمة.

فقد قال تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُون}[الأنعام:65]

قال المفسر السعدي رحمه الله:أي: فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أنه قادر على ذلك. ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب، ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف. ولكن عاقب من عاقب منهم، بأن أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها المعتبرون، ويشعر بها العالمون. اهـ

وقال المفسر البغوي رحمه الله: "أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ "أي يجعلكم فرقا مختلفة ويبث فيكم الأهواء ويذيق بعضكم بأس بعض ويقتل بعضكم بعضا. اهـ

وروى البخاري رحمه الله عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ}، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} ، قَالَ:

«أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -».

ومن رحمته تعالى أنه لو يؤاخذ الناس بظلمهم لأهلكهم ولكنه رحيم بهم قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}[فاطر:45]

فما أصاب الناس من خير فهو من الله وما أصابهم من شر فهو بسبب ذنوبهم.

قال تعالى: {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ}[النساء:79] وقال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}[الشورى:30]

وهنا تنبيه: لا ينبغي لأصحاب الحساب الفلكي أن يعلنوا للناس متى سيكون الخسوف والكسوف فإن الأفضل أن يكون ذلك مفاجأة للناس ليرجعوا إلى الله ويأووا إلى بيوت الله فإنهم إن علموا بالخسوف قبل وقته يصير عندهم الأمر عاديا ليس له وقع في قلوبهم من الخوف فإن الملاحظ غالبا أنه إذا كان الكسوف مفاجأة فإنهم يخافون ويقبلون على الصلاة ويجتمعون في المساجد ويذكرون الله كما كان يحصل سابقا قبل مجيء هذه الإعلانات والقنوات لكن لما صارت القنوات تعلن عن الخسوف والكسوف قبل مجيئة صار الأمر عادياً عندهم , بل صاروا لايبالون بما سيحصل,فيحصل الأمن من مكر الله.

وقد بلغ الأمر ببعض من لا يخاف الله إلى أنهم صاروا يطمئنون الناس أن مسألة الخسوف والكسوف حوادث طبيعة لئلا يخاف الناس,فنعوذبالله من هذا الضلال , فلا يجوزهذا ,ولا يجوز تصديقه,فإن الله سبحانه وتعالى جعلها تخويفا للناس وهؤلاء يحادون الله ويخالفون أمره فيطمئنون الناس .

فمن نسب الخسوف والكسوف إلى الطبيعة على أنها هي الفاعلة لهذا الخسوف فقد كفر الكفر الأكبر والعياذ بالله.

فليست حوادث طبيعية كما يزعمون , فإنما هي آيات كونية وإنذارات ربانية للعباد, كما تقدم وكما سمعتم من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

فنعوذ بالله من سخطه ونستجير به من عقابه ونسأله أن يوفقنا لطاعته اللهم اكشف عنا ما نحن فيه اللهم إن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان الذي لا يخلو من علمه مكان جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع البلاد لا تتوهمه القلوب بالتصوير ولا تدركه العقول بالتفكير { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير}

أما بعد:

فإن الشمس والقمر من ضمن الآيات الكونية التي حثنا الله سبحانه وتعالى على التفكر فيهما كما قال عز مِن قائل: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوالله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون}[فُصِّلَت:37]

وقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَاب * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار}[آل عمران:190-191]

وهما من جنود الله المسخرة لخدمة بني آدم وهما يسبحان الله ويسجدان له كل يوم.

وهناك بعض المفاهيم الخاطئة عند بعض العامة حول الشمس والقمر.

ـ منها: أنهم يعتقدون أن الشمس والقمر إذا خسفت أن الله غضب عليهما فعذبهما !

والصواب: أن هذا إنذار للعباد وآيات يخوف الله بهما عباده كما تقدم ,بل قد يكون هذا علامة على غضب الله على كثير من عباده بسبب كثرة الذنوب والقتل والفتن.

ـ ومن المفاهيم الخاطئة أنهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى يكور الشمس والقمر يوم القيامة ويرمي بهما في جهنم تعذيبا لهما!

والصواب: أنها من ضمن الأهوال والأحوال التي تحصل يوم القيامة من تشقق السماوات وتحطم الجبال وتزلزل الأرض وتساقط النجوم وغير ذلك وأما رميهما في جهنم فإنه يكون ذلك تبكيتا لعابديها في الدنيا لا تعذيبا لهما كما يظن البعض وغير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله.

فالحاصل أن الخسوف والكسوف آية من آيات الله يخوف بهما عباده وإنذار لهم ليكفوا عما هم عليه من الفتن والذنوب والمعاصي ويرجعوا إلى الله سبحانه وتعالى.

وفيها إشارة إلى أن المصيبة أو العقوبة قد تعم الصالح والطالح إذا كثرت الذنوب والمعاصي ولا نكير.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ الله عَنْهُا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ».

" والخبث" هو كما ذكر النووي قال:فسره الجمهور بالفسوق والفجور وقيل المراد الزنى خاصة وقيل أولاد الزنى والظاهر أنه المعاصي مطلقا. اهـ

وخص العرب دون غيرهم ,قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: إنما خص العرب بالذكر لأنهم أول من دخل في الإسلام وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم. اهـ

فيجب على المؤمن أن يبتعد عن أماكن العصيان وأن لا يخالط أصحاب المعاصي لئلا يصيبه ما أصابهم .

فقد روى البخاري ومسلم عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَنْزَلَ الله بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ».

وفي الصحيحين أيضا عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

فوجه استغراب عائشة رضي الله عنها أن في الجيش من جاء للتجارة ومنهم من ليس قصده غزو البيت فبين لها النبي صلى الله عليه وسلم أن العقوبة تنزل للجميع بسب مخالطتهم لأصحاب المعاصي وتكثير سوادهم وعدم الإنكار عليهم, ثم يوم القيامة يحاسبون على نياتهم وعلى قصد كل واحد منهم.

فيؤخذ من هذا الحديث أنه لا يجوز مخالطة أهل المعاصي وتكثير سوادهم ولا حضور أماكنهم قال تعالى: {وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}[الفرقان:72] أي: لا يحضرون أماكن الزور والمعاصي.

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن اللهم ثبتنا على دينك واعنا على طاعتك وجنبنا الكفر والفسوق والعصيان والحمد لله رب العالمين.